

# الدَّارجَةُ الْمُغْرِبِيَّةُ

## أَفْصَحُ الدَّرَجَاتِ الْعَرَبِيَّةِ

### ادْسَازُهُ إِيمَانِيَّهُ عَرَكَاتُ

· متعاقبة ·

ووهنـا فاللهـجة الدـارجـة عندـنا تستـمد مـعظـم أـصولـها منـ الانـدلـس وبنـى هـلـلـ وبنـى سـليمـ . والـيـاقـى وـهـوـ قـليلـ يـاخـذـ عنـ البرـبرـية وـنـادـرـاً عنـ التـرـكـيـة وـاـخـرـاً الـاسـيـانـيـة وـالـفـرـنـسـيـة اللـتـيـنـ اـضـافـتـاـ إـلـىـ اللهـجـةـ المـغـرـبـيـةـ مـصـطـبـاتـ وـعـبـارـاتـ دـخـيـلـةـ كـثـيرـةـ . بـيـدـ أنـ النـاظـرـ فـىـ اللهـجـةـ الـانـدلـسـيـةـ الـقـديـمةـ يـجـدـ كـثـيرـاـ مـنـ الـفـاظـهـاـ ماـزاـلـ جـارـيـاـ عـلـىـ الـالـسـنـةـ بـالـمـغـرـبـ ، وـمـنـ الـبـدـيـهـيـ أنـ هـنـهـ الـفـاظـ لـيـسـ فـىـ مـعـظـمـهـاـ الـعـرـبـيـةـ مـحـرـفـةـ أـوـ فـصـيـحـةـ . وـلـسـنـ الـحـظـ ، فـاـنـاـ نـتـوـفـرـ فـىـ هـذـاـ الـمـوـضـوـعـ عـلـىـ صـدـرـ بـالـغـ الـاـهـمـيـةـ خـلـفـهـ لـنـاـ مـؤـلـفـ مـجـهـولـ مـنـ الـقـرـنـ التـاسـعـ الـهـجـرـيـ وـهـوـ عـصـرـ اـضـحـالـ الدـوـلـ الـمـرـيـنـيـةـ وـاـرـتـقـاءـ الـوـطـاسـيـنـ إـلـىـ الـعـرـشـ . وـهـذـاـ الـمـؤـلـفـ هـوـ : « الـجـمـالـةـ ، فـىـ اـزـالـةـ الـرـطـانـةـ » ، وـقـدـ وـضـعـهـ مـؤـلـفـهـ كـمـاـ يـتـضـعـ مـنـ عـنـوانـهـ لـتـقـوـيمـ الـلـهـجـةـ الـانـدلـسـيـةـ التـيـ ظـلـتـ فـىـ مـظـهـرـهـاـ تـعـتـنـقـ بـطـابـعـ عـرـبـيـ أـصـيـلـ . وـمـنـ الـاـخـطـاءـ التـيـ نـبـهـ الـانـدلـسـيـنـ إـلـىـ ضـرـورـةـ اـصـلـاحـهـاـ ، قـولـهـمـ : ( سـكـرـ بـضمـ الـكـافـ ) وـالـجـوـفـ ( بـضمـ الـعـيـمـ ) وـالـمـرـأـةـ تـغـيـرـ عـلـىـ وـجـهـهـاـ . ( عـوـضـ تـفـارـ ) وـالـقـيـعـ ( بـكسرـ الـفـافـ ) وـالـسـلـعـةـ ( بـفتحـ السـينـ ) وـطـرـفـ ( بـسـكـونـ الرـاءـ ) ، الـقـطـيبـ ( وـغـيـرـهـ ) وـيـدـ ، وـدـمـ ( بـشدـ الـاـخـيـرـ فـىـ كـلـيـهـمـ ) وـدـخـانـ ( بـشدـ ) وـنـخـالـةـ ( بـشدـ ) وـيـدـيـدـةـ ( تـصـفـيـرـ يـدـ ) ، وـالـصـوـابـ ( يـدـيـةـ ) وـحـكـ وـحـكـةـ ( وـالـصـوـابـ حـقـ وـحـقـةـ ) . وـكـلـ هـذـهـ الـفـاظـ مـاـتـزـالـ مـسـتـعـلـةـ بـالـمـغـرـبـ إـلـىـ يـوـمـنـاـ هـذـاـ خـصـوصـاـ فـىـ الـحـوـاضـرـ . عـلـىـ أـنـ بـعـضـ الـفـاظـ التـقـنـ سـاقـهـاـ الـمـؤـلـفـ كـأـخـطـاءـ اـصـبـحـتـ غـيـرـ مـتـداـولـةـ بـالـمـغـرـبـ مـنـذـ وـقـتـ غـيـرـ مـحدـدـ ، وـمـنـ ذـلـكـ يـوـمـ السـبـتـ ( بـكسرـ السـينـ ) وـالـجـبـهـةـ ( بـكسرـ الـجـيـمـ ) وـالـخـطـ ( بـكسرـ الـخـاـ ) ، وـالـبـرقـ ( بـفتحـ ) عـوـضـ الـبـرقـ ( بـسـكـونـ ) وـكـيـفـاـ كـانـ الـحـالـ ، فـاـنـ الدـارـجـةـ الـانـدلـسـيـةـ لـاـتـنـحـرـفـ فـىـ كـثـيرـ عـنـ الـعـرـبـيـةـ الـفـصـحـيـ . وـلـاـ تـزـالـ

لـيـسـ مـنـ قـبـيلـ التـعـصـبـ الـفـصـيـقـ أـنـ نـصـلـ إـلـىـ هـذـهـ الـحـقـيقـةـ التـيـ يـعـدـهـاـ عـنـوانـ هـذـاـ الـبـحـثـ الصـفـيـرـ ، فـاـلـمـسـأـلـةـ لـهـاـ جـانـبـ تـارـيـخـيـ وـاجـتمـاعـيـ قـبـلـ كـلـ شـيـءـ : ذـلـكـ أـنـ الـمـغـرـبـ بـحـكـمـ عـدـمـ اـخـتـلاـطـ اـهـلـهـ بـأـجـنـاسـ كـثـيرـةـ مـنـذـ مـاـقـبـلـ الـإـسـلـامـ وـبـعـدـهـ لـمـ تـفـسـدـ لـهـاجـتـهـ بـقـدرـ مـاـ فـسـدـتـ فـىـ مـنـاطـقـ أـخـرىـ .

فـاـلـمـغـرـبـ لـمـ يـبـلـ بـحـكـمـ التـنـرـ وـلـاـ الـاتـرـاكـ وـلـاـ الدـوـلـ الـفـارـسـيـةـ وـلـاـ غـيـرـهـاـ مـنـ الـعـنـاصـرـ التـيـ مـنـ شـائـنـ اـخـتـلاـطـ الـعـربـ بـهـاـ أـنـ يـؤـثـرـ فـىـ لـفـقـهـمـ بـقـدرـ قـلـيلـ أـوـ كـثـيرـ وـقـدـ وـقـعـ ذـلـكـ فـعـلـاـ فـىـ الـبـلـادـ الـشـرـقـيـةـ ، خـاصـةـ مـصـرـ وـالـشـامـ ، وـالـوـاقـعـ أـنـ الـمـغـرـبـ بـدـأـ يـشـهـدـ تـكـوـنـ بـعـضـ الـجـالـيـاتـ الـمـسـيـحـيـةـ مـنـ عـدـةـ بـلـادـ أـوـرـوـبـيـةـ مـنـذـ عـصـرـ السـعـدـيـنـ خـاصـةـ ، وـنـتـلـمـ كـذـلـكـ أـنـ عـنـاصـرـ مـخـتـلـفـةـ مـنـ السـوـدـانـ وـالـأـكـرـادـ وـالـأـسـبـانـ شـارـكـتـ فـىـ الـبـيـوـشـ الـمـغـرـبـيـةـ اـبـتـادـ مـنـ عـصـرـ الـمـرـابـيـنـ . بـيـدـ أـنـ كـلـ هـنـهـ الـعـنـاصـرـ لـمـ يـكـنـ لـهـاـ أـثـرـ يـسـتـحـقـ الـذـكـرـ بـالـقـيـاسـ إـلـىـ الـأـثـرـ الـذـيـ خـلـفـهـ فـىـ مـيـدـانـ الـلـفـةـ وـفـوـدـ الـعـربـ الـفـاتـحـيـنـ ثـمـ هـجـرـةـ بـنـىـ هـلـلـ وـبـنـىـ سـلـيمـ التـيـ اـنـ كـانـتـ قـدـ خـلـفـتـ أـضـرـارـاـ سـيـاسـيـةـ وـاجـتمـاعـيـةـ بـالـغـةـ فـاـنـهـاـ سـجـلـتـ أـثـرـ فـىـ تـكـوـنـ الـلـهـجـةـ الـدـارـجـةـ الـاـصـيـلـةـ بـالـمـغـرـبـ .

عـلـىـ أـنـ الدـارـجـةـ بـهـنـدـ الـبـلـادـ قـدـ اـسـتـمـدـتـ كـثـيرـاـ مـنـ أـصـولـهـاـ مـنـ بـلـادـ الـانـدلـسـ التـيـ حـظـيـتـ بـاستـقـبـالـ عـدـدـ ضـخـمـ مـنـ أـفـوـاجـ الـعـربـ الـذـيـنـ قـدـمـوـاـ إـلـيـهـاـ مـنـ بـلـادـ الـشـرـقـ عـلـىـ الـعـمـومـ وـخـاصـةـ الـشـامـ وـالـعـرـاقـ .

وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ نـظـرـيـةـ اـبـنـ خـلـدونـ التـيـ تـقـرـرـ أـنـ الـمـفـلـوبـ يـقـلـدـ لـفـةـ الـقـالـبـ ، فـاـنـ الـذـيـ حدـثـ بـالـنـسـيـةـ إـلـىـ الـمـغـرـبـ أـنـهـ تـأـثـرـ فـىـ الـمـيـدـانـ الـلـفـوـيـ وـالـاجـتمـاعـيـ بـالـانـدلـسـ إـلـىـ درـجـةـ كـبـيرـةـ حـتـىـ اـنـتـ نـسـتـطـيـعـ أـنـ تـؤـكـدـ أـنـ الـلـهـجـةـ الـمـضـرـيـةـ بـعـدـ مـنـ مـدـنـ الـمـغـرـبـ كـفـاسـ وـطـسوـانـ وـسـلاـ وـالـرـبـاطـ أـكـثـرـهـاـ مـسـتـمـدـةـ مـنـ أـصـولـ الـانـدلـسـيـةـ ، وـلـعـلـ هـذـهـ حـقـيـقـةـ تـكـادـ تـكـوـنـ مـعـرـوفـةـ بـالـبـدـاهـةـ اـذـاـ عـلـمـنـاـ أـنـ هـذـهـ الـمـدـنـ وـغـيـرـهـاـ قـطـنـتـهـاـ جـالـيـاتـ الـانـدلـسـيـةـ فـىـ هـجـرـاتـ

ونحن في غنى عن التنويه بفصاحة اللهجة الصحراوية في المنطقة التي تمتد من مشارف كولومبيا إلى موريطانيا ، فقد تعرّب بعض قبائل هذه المنطقة التي كان يعمرها منذ قرون طويلة عناصر من صنهاجة ، كما انصافت إليهم أنواع من بدو العرب الذين انسجموا كلّياً مع السكان الأصليين . ولا يزال قرض الشعر ازتعالاً أو أعداداً من الأمور المألوفة في كل أسرة تقريباً ، وأكثرهم يحفظون الشعر قسماً هاماً . وقد أتيح لي منذ سنتين تقريباً أن أمس هذه الحقيقة عن كثب في تلكم الجمجمة القاسية من المقرب ، حيث تحدثت إلى مسؤول في أعماق الصحراء اعترف لي بأنه لا يحسن القراءة ولا الكتابة ، ولكنه انشدني من شعر ابن الرومي والمنتبى وغيرهما شيئاً كثيراً ! وزوروني بعض فضلائهم بقصائد من انتاجهم غاية في الجمال . وبين طان طان وكولومبيين تقع مقهى متواضعة لا يسع من لفحه حر الصحراء أو اعتاد البساطة في الاختلاط بالناس إلا أن يرجع عليها وما كدت أدخل بابها حتى يادرت إليها مدعاً : وانت يا أخي تحفظ أيضاً من الشعر نصيباً ؟ فما أمهلني حتى نثر من كثانته سهاماً وقد رأيته يقبع في زاوية مظلمة من مقاهى وهو يطارح رفيقاً له ، فاستغربت كيف تنفذ الفصاحة والمنطق العذب إلى ربّع أنسى ما يكون عن العمران ونقرّب ما يكون إلى المفازة التي لأنيس بها ولا ما يشجع على اللئام .

فإذا كانت الجمجمة اللغوية عاجزة أو كالعجزة عن أن تبعد في بطون الكتب ما يشفى غليلها في إصلاح العربية أو العودة بها إلى فصاحتها الأصلية ، فستتجدد قطعاً في الدارجة ما يسد نقصاً كبيراً في هذا الباب . وإذا كانت الدعوة إلى استقلال الدارجة دعوة قديمة ، فإن قليلين يعلمون أن اللهجة المغاربة أفسح لهم جانباً في البلاد العربية ، نظراً لласباب التي مر ذكرها آنفاً . ومن العبث محاولة استقصاء الأمثال التي تدل على عراقة اللهجة المغاربية في العروبة ، في بحث قصير كهذا ، ومن المناسب أن أتوه بمعجم مركز التعرّيب<sup>(I)</sup> الذي تضمن قسطاً كبيراً من الفاظ هذه اللهجة ، وينبغي أن يستمر هذا لمجهود في دراسة متعمقة ومقارنة ، فقد يولد في يوم ما ، المجمع اللغوي المغربي الذي سيجد من هذا المعجم وأمثاله مادة حية تثير س بيته . ابراهيم حركات

<sup>1</sup> - يشير صاحب البحث إلى « معجم الأصول العربية والاجنبية للعامية المغاربية » تاليف الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله .

اللهجة المغاربية تستعمل الفاظاً عريقة في الفصاحة ، بعضها يستعمل في الحواضر والبلوادي وبعضها خاص بينه أو تلك . على أنه لا يمتن التردد في أن فصاحة اللهجة بالبلوادي كالنواحي الصحراوية ونواحية الشاوية أعرق منها في الحواضر ، إذ الاحتراك بالعنابر الأجنبية منذ دخول العرب إلى هذه النواحي كان أقل منه في الجهات الأخرى . ومن جملة الانفاظ التي لاتزال تروج في اللهجة المغاربية ، قوله : نتخ يعني سرق وأصنه من نتخ الطير أي خطف بمشربه ، ولذلك « حسينة » وخطرة ( يعني المرة ) وتسالي يعني انقضى ( وأصله الصحيح تسل ) وسكت الباب ( يعني اغلقه ) وأصله من السريانية كما جاء في بحث لعالم سرياني في مجلة العربي ( عدد ٢٨ ص ٤٥٦ ) .

وذلك نقول : ضربه الله يعني أضلله وطنز عليه ( والصحيح طنز به ) وفلان مضروب على كذا ( نهجه سلا والرباط ) وأصله من ضرب على الشيء إذا تطبع به وأولع به .

ولفظ ( بال ) الذي يستعمله التجار معناه الجراب الضخم في الأصل ( فقه اللغة للثعالبي ص ٦٧ ) . وكلمة عيان يعني متubb ، خطأ عربي قد يرمي عرب في صدر الدولة العباسية ، وانتقل بنفس الصيغة إلى المغرب . قال ابن السكينة « أعييت في المشى أعييس أعياماً، وأنا معى ولا يقال عيان » ( اصلاح المنطق ص ٢٦٨ ) . ونقول أيضاً الشوار وهو في الفصيح : الشوار ( بشد الشين وفتحها ) يعني مداع البيت ( تهذيب اصلاح المنطق للتبريزى ج ٢ ص ٢٢ ) .

ونقول : غوى السمن أو اللحم ، وأصله كما نص عليه أبو هلال العسكري : بشم من كثرة شرب اللبن ، أو مات هذا إلا إذا لم ير من لبن أمه ، فأصله كما أثبته أبو هلال ، الفساد ( الفروق اللغوية ص ١٧٦ ) . ونقول : فلان غشيم ، وهو من يسهل معاملاته ظلماً ( فروق لغوية ص ١٩٢ ) .

كما نقول : خربن عمله يعني أفسده ، وهو منحوت من خرب وخرق ( والأخرق الذي لا يحسن عمله ) وقد شرح ذلك ابن فارس في مقاييس اللغة ( ج ٢ ص ١٤٦ ) .

والدارجة المغاربية مع هذا تلتقي في جوانب كثيرة مع الدارجة في جهات أخرى من بلاد العرب . ومن الطريق أن نذكر أن أهل حضرموت يقولون « لرض » عوض الأرض ، وبغيت يعني أرذت و « جاوت اللي جاور » ويجب يعني يحضر ورواك يعني أراك ، وكل هذه الانفاظ وغيرها جازية بالمغرب على نفس الصيغة . والكلمة الأخيرة « رواه » تستعمل بفاس خاصة .